

نعم الله على عباده كثيرة ومتابعة يجب عليه شكرها

إخوة الإيمان:

أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله تعالى وطاعته، واعلموا أن نعم الله على عباده كثيرة لا تحصى، وكثرة كثرة لا تستقصى، ومتابعة لا تنقضي، والاعتراف بنعم الله والثناء عليه بها والاستعانة بها على طاعته دليل على قوة الإيمان بالله تعالى، وعلى أن الشكرين هم خواصه، فإن نعم الله على عباده لو اشتغل الإنسان بعدها، لم يقدر على حصرها، ولو اجتهد في ذلك؛ لكثرتها وتنوعها، بل كل ما في جسدك من نعم الله عليك، والمقصود بالعد حصر المعداد، والوصول إلى نهايته، وهذا الذي لا يمكن، وهو الذي تنفيه الآية الكريمة، لقوله تعالى متمنا علينا بنعمه: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَاتِيَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ، وقال ربنا وقليل من عبادي الشكور، فحصول المنافع ودفع المضار من نعم الله علينا، بل كل خير يحوزه العبد هو إنعام من الله عليه، من علم وإيمان، وعمل وذرية، ومسكن ودابة، وسعادة ونجاح، قال الله تعالى: وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَيُنسَىٰ اللَّهُ، والتأمل في ما حولنا يقودنا إلى استشعار نعم الله، قال الله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ، وقال: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ، يُبصر المؤمنون نعم الله الظاهرة والباطنة، فيزيدهم ذلك إيمانًا ويقربهم إلى ربهم، اعترافًا بعمته وخيراته، قال الله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ، والمؤمن برجاحة عقله ونضج فكره يُبصر نعمة الله من حوله، قال الله تعالى واصفًا حال المؤمن الذي يتقبل منه أحسن أعماله، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ، وإذا امتلأ قلب العبد بالإيمان تحققت له نعمة شكر النعم، وصلحت تصرفاته، وزكت أخلاقه، ورافقه التوفيق، قال الله تعالى: وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَىٰكُمْ الْإِيمَانَ وَرَيْبَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهِتُمْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعُضْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَّلْنَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، ومن مقتضيات تذکر نعم الله الاعتراف بها، ونسبتها للمتفضل جلّ جلاله، ومن يرصد النعم لا يفتأ يذكر وإهبتها؛ وهو الله تعالى المنعم بكل النعم التي تنقلب فيها، بل الاعتراف بنعم الله مفتاح كل خير، ويجعل لسان المسلم يلهج على مدار يومه وليلته بالحمد والشكر والثناء، وإذا أقر المسلم بنعم الله تعالى واعترف بفضائل ربه التي تحيطه، واستعمل هذه النعم في تحقيق مرضاة الله تعالى كان من الفائزين برضا رب العالمين، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: قيل: الشاكر الذي يشكر على العطاء، والشكور الذي يشكر على البلاء، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: في شرح قوله تعالى: إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا، وهو نوح عليه السلام قيل: إنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها، وإذا تحلى المسلم بخلق الشكر والحمد لربه، فإنه يضمن بذلك المزيد من نعم الله في الدنيا، والفوز برضوانه وجناته، ويأمن عذابه في الآخرة، قال تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ، وهذا نبي الله سليمان عليه السلام يدعو ربه قائلاً: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، ولما جاءه عرش بلقيس أي سليمان، قال: هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرْيَمٌ، وإذا أقر المسلم بنعم الله أظهر هذه النعم، شاكرًا حامدًا لا مُفَاخِرًا ولا مُتَكَبِّرًا، لقوله تعالى لرسوله: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ، أي حدِّث الناس بما أنعم الله عليك تعظيمًا للمنع، والله أيها الإخوة، إن نعم الله علينا لكثيرة، منها الصحة، كم من مريض يئن من شدة الألم وأنت متعاف، وكم من مسجون وأنت حر، وكم من مشرد وأنت لك أسرة، فعلينا أيها الإخوة أن ننظر إلى النعمة الموجودة قبل أن ننظر إلى النعمة المفقودة، واعلم أخي المسلم أن حصرها في بيتك أفضل من سرير في المستشفى، وضيئ في المال أفضل من ضيق في التنفس؟ فيا أخي أنت تنام بدون مهدئات وتستيقظ بلى وجع؟ وتقضي حاجتك في الحمام بدون أن يري عورتك أحد، وتمشي على رجلين بفضل الله بدون أن يساعدك أحد، تنظر بعينيك دون أن يقودك أحد، فأنت إذا ملك من ملوك الدنيا، هذه أيها الإخوة كلها نعم من الله، علينا أن نقابلها بالشكر، واعلم أيها المسلم أن المال هو أدنى درجات الرزق، وأن الصحة والعافية هي أعلى درجات الرزق، والدليل أيها الإخوة على أن هذه الدنيا حقيرة لو أن إنساناً منا أصيب بصداع شديد في رأسه لمدة عشر دقائق فقط، لتمنى أن يتنازل عن جميع أملاكه ليرجع إلى حالته الطبيعية، ولكن الإنسان كما قال الله تعالى لظلم كفار! يامن تشتكي قلّة المال، وكثرة الهموم، حتى أنستك كل نعمة تتقلب بها، أتحب أن تُعطى الأموال، وتُسلب نعمة واحدة من هذه النعم التي سبق ذكرها، فكيف تجحد وتنسى ما أنت فيه من النعم العظيمة، وتشكو حرمان أموالٍ تافهة قليلة، ولكن صدق الله إذ يقول: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، قال الحسن البصري رحمه الله: الكنود هو الذي يعدُّ المصائب، وينسى نعم الله عليه، جاء رجل إلى أحد الصالحين، يشكو إليه الحاجة وقلّة المال، فقال له: أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ بصرُك هذا الذي تُبصرُ به مائة ألف دينار؟! قال الرجل: لا، قال: فيبيدك مائة ألف دينار؟! قال: لا، قال: فبرجلِك مائة ألف دينار؟! قال: لا، قال: فذكره نعم الله عليه، فقال له: أرى عندك ملايين الألوف... وأنت تشكو الفقر والحاجة، فيا كثير التسخط والتشكي: اعرف قدر الصّحة والعافية، قال وهب بن مثنى رحمه الله: مكتوب في حكمة آل داود: الصّحة والعافية: المُلْكُ الخفي، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصّحَّةُ وَالْفَرَاغُ وَالفَرَاغُ، أي إن الصّحَّةَ وَالْفَرَاغَ، كثير من الناس مغبون فيهما، لا يعرف قدرها إلا من فقدها، ولكن سيندم ويتحسّر صاحبها يوم القيامة، لعدم استغلاله لها بما ينفعه ويقيده، وللحديث بقية في الجمعة المقبلة إن شاء الله تعالى.

خطبة الجمعة ليوم 10 ماي 2024 م